من روائع

ألف ليلة وليلة

محمد صدقي المزاني

دار الطرابيشي
للدراسات الإنسانية

تقول الحكمة: "إضحك تضحك لك الدنيا"

وهذا صحيح لأنه إذا زرفت الدمع أنهارًا وملأت الدنيا صخبًا وضجيجًا فإنك "لن تشق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا" فما سطر لك سوف يكون رضيت به أم كرهت فمن الخير أن تكن راضيًا مؤمنًا لا معترضًا على قضاء الله وهو الكفر لا محالـة.

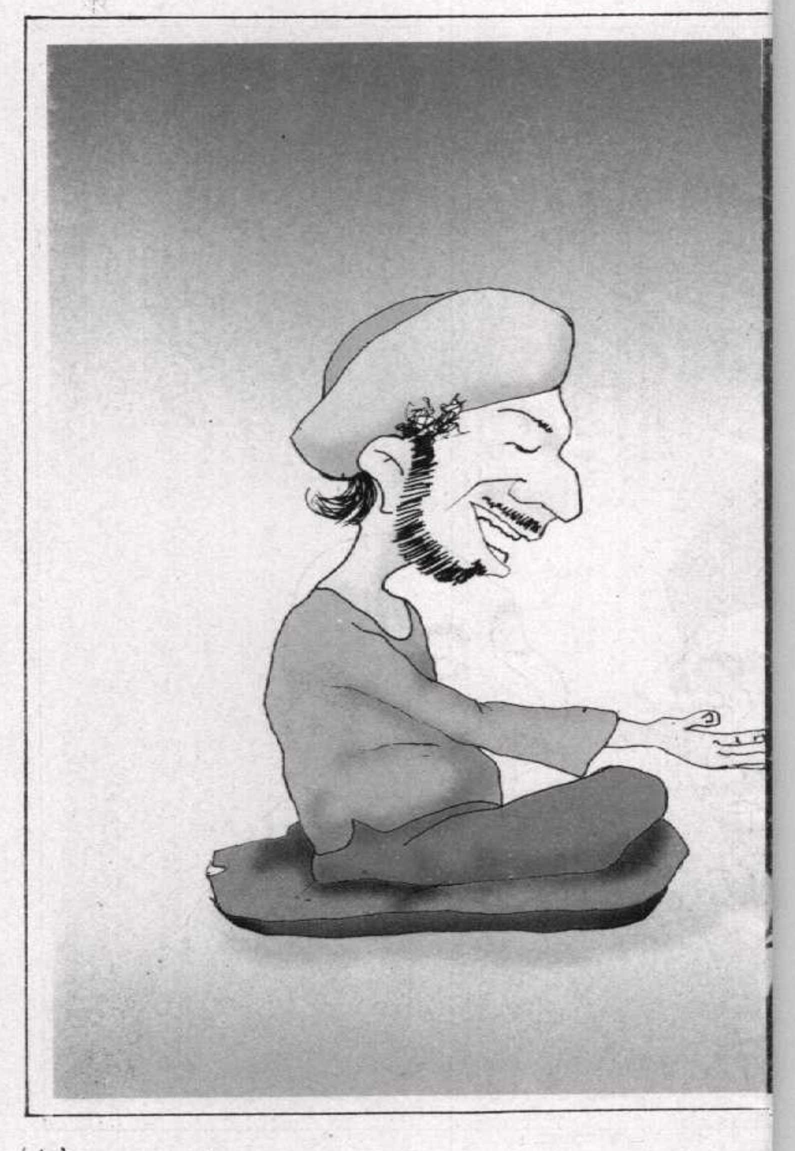
إنه سبحانه يأمرنا بألا نيأس من رحمته مهما بلغت قساوة الظروف لأنه قادر على تغييرها في أقل من غمضـة عين: "ولا يقنط[1] من روح الله إلا الكافرون".

من هنا تكتسب الابتسامة أهميتها ويضحى[2] الضحك

---

(١) يقنط أي ييأس. (٢) المقصود يصير

فلسفة لا غنى عنها للحفاظ على سلامة العقل وهدوء الأعصاب خاصة فى العصر الحديث، عصر السرعة والتكنولوجيا والآلة التى تطحن كل شئ بسرعة رهيبة حتى الأعمار ..!

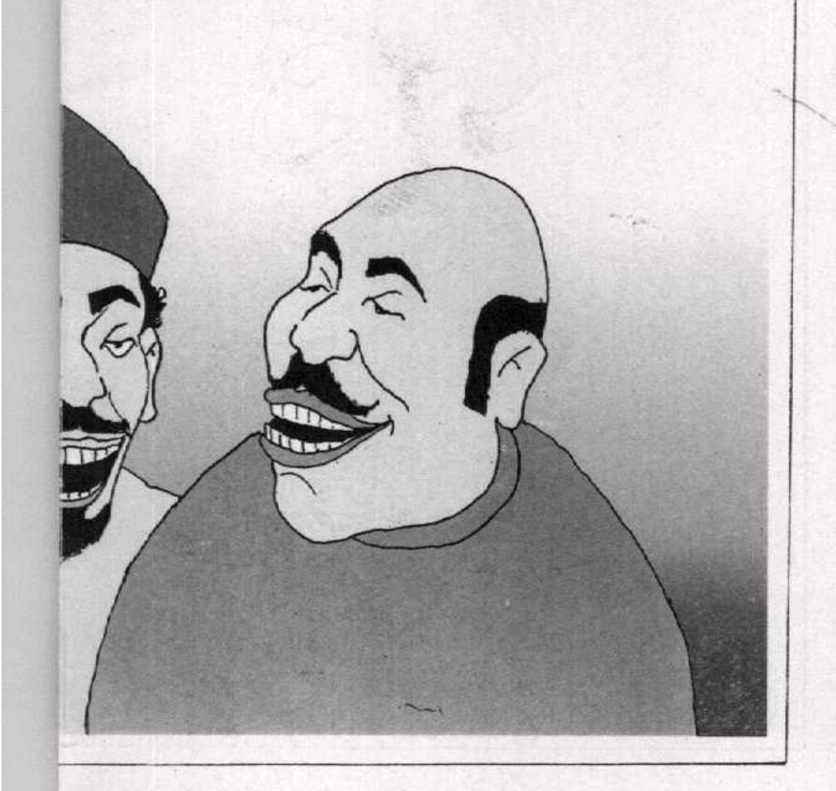


إنه عندما يغضب الإنسان يشل عقله ويفقد قدرته على التفكير ويصدر الأحكام الخاطئة تباعًا، "تلك مسألة علمية": أما إذا جئنا للناحية الطبية ففى الضحك كما يقول العلماء أدواء[3] لأمراض جسدية ونفسية ربما استعصت على أمصال[4] وعقاقير النوابغ أو الراسخين من أهل الطب والتطبيب، فهو مجدد للدم دافعًا له بالقدر

---

(٣) جمع دواء (٤) جمع مصل وهو الدواء أيضًا

المحمود[١] فى الأوردة والقلب مجددًا للأنسجة والخلايا
ودرعًا واقيًا لكرات الدم البيضاء مما يعيد للفرد نشاطه ويبعده
قدر الإمكان عن أمراض
الشيخوخة، وعاملًا حاسمًا
فى إطالة العمر[٢]... إلخ



إذن أو مادام الأمر كذلك
فالضحك هدف لذاته، بل
هدف كبير لأنه لا يذكر
التاريخ اختراع لعالم أو
فكرة عبقرية لسياسى أو
أديب أو مصلح اجتماعى أو
لوحة خالدة لرسام قد أبدعها
وهو غاضبًا أو ثائرًا أو منفعلًا
هادئ النفس من أوجاع الحياة وهمومها، بل كانت وليدة أمزجة
هادئة معتدلة ونتاج نفوس كالورود أو عناقيد الفل متفتحة

---

(١) المحمود أى الطيب الوفير (٢) بإذن الله تعالى (٣) الأريج روائح الورود أو الزهور

ينتشر أريجها[٣] ويُضَوِّعُ الأمكنة حولها ، وما الضحك سوى الوسيلة الأهم لزوال الأحزان والطريق الأقصر إلى دنيا البهجة والسعادة .. لقد كان في قصور الملوك والسلاطين في ماض الزمان موظفون رسميون ، كل مهامهم إضحاك عاهل[٤] القصر أو البلاط إذا ما استبد به الأرق[٥] أو لازمته الأحزان كي يفكر بعدها بذهن نشط وأعصاب هادئة في هموم دولته وما يعترضها من مشاكل تبدو أحيانًا عصية الحل جد مهلكة .. لقد قيل



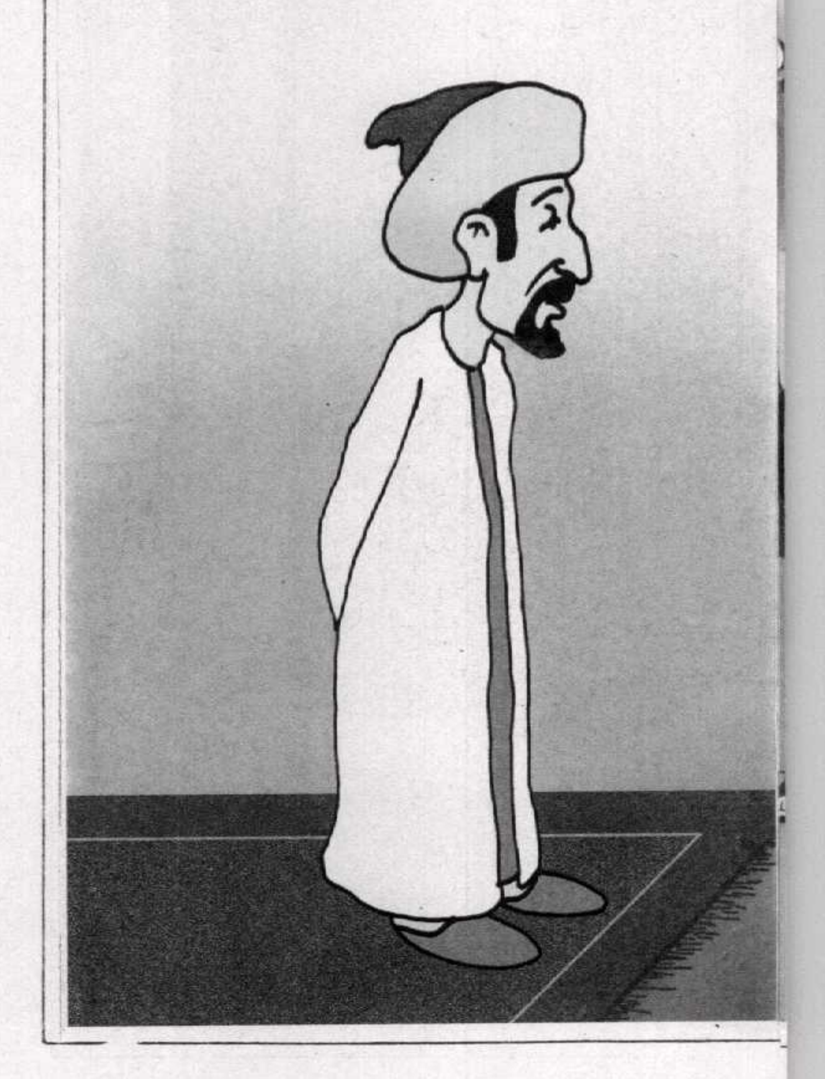
أن "لويس الثالث" ملك انجلترا قد منح مضحك البلاط ثلاثة آلاف هكتار[٦] جزاء إسعاده وإدخال السرور على نفسه ومساهمته

يضوع أى يملأ (٤) أى ملك (٥) أى السهر (٦) ما يعادل الفدان

الفعالة الأكيدة بالترويح عنه مما جعله يفكر فى مشاكل
دولته المعقدة ويحتفظ بالتاج فوق رأسه كملك ناجح سليم
المنهج لبقا لاتهمه المشاكل
الشائكة[1] مما تستعصى على
ملوك آخرين .. ونحن هنا
بتقديمنا لتلك القصة
الضاحكة التى رويت
"لهارون الرشيد" نقدم لك
السعادة أيها "الملك الصغير"
على طبق من الذهب أو البللور
لانبغى كيسا منك مليئاً بالدر
والجوهر، أو هكتارات أو حتى
سهم أو قيراط واحد، فالقارئ
الصغير هو "الإبن الروحى" للمؤلف والناشر يحاولا دائماً إفادته
وإسعاده، الأول بسهره وعصارة فكره، والثانى بماله والتضحية

(١) الشائكة أى المعقدة (٢) أى أحضره

به هينًا فى سبيل هذا الهدف، فهيا إلى الضحك معًا، مما روى "للرشيد" ذات ليلة من أحداث تلك القصة الغريبة العجيبة:



قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قد قلق ليلة من الليالى فاستدعى وزيره، فلما حضر بين يديه قال له : ياجعفر، إنى قلقت اليوم قلقا عظيما وضاق صدرى وأريد منك شيئا يسر خاطرى ولينشرح به صدرى فقال له جعفر:

يا أمير المؤمنين، إن لى صديقًا إسمه على العجمى وعنده من الحكايات والأخبار المطربة مايسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس، فقال له : علىَّ به[٢]، فقال : سمعًا وطاعة، ثم إن جعفرًا

خرج من عند الخليفة وطلب "العجمى"، وأرسل فى طلبه، فلما حضر، قال له : أجب أمير المؤمنين، فقال له : سمعًا

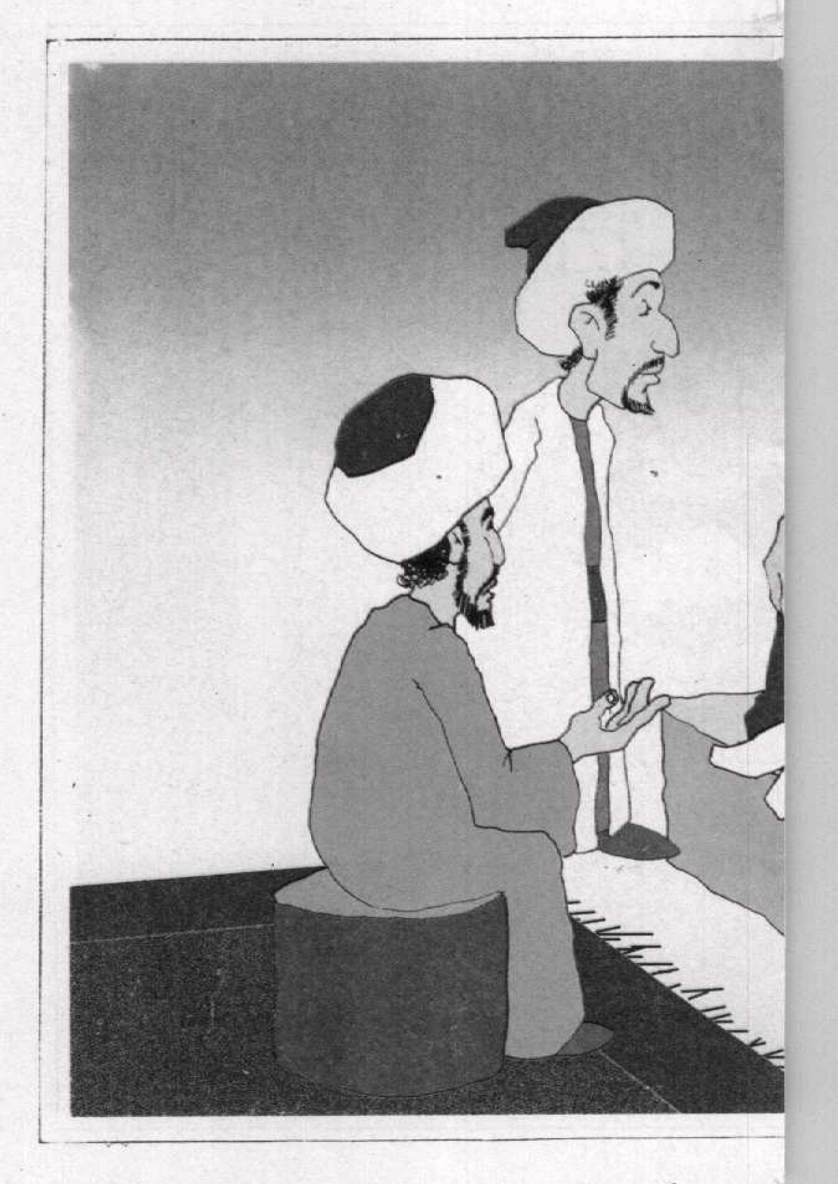


وطاعة ثم توجه معه إلى الخليفة، فلما مَثُلَ[1] بين يديه، أذن له فى الجلوس فجلس فقال له الرشيد : يا على، انه قد ضاق صدرى فى هذه الليلة وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبارًا وأريد منك أن تسمعنى ما يزيل همى ويصقل فكرى[2]، فقال : يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالذى رأيته بعينى أو بالذى سمعته بأذنى ؟.. فقال : إن كنت رأيت شيئًا فاحكه "قُصُّه"، فقال : سمعًا وطاعة .. إعلم يا أمير المومنين، أنى قد

---

(١) أى وقف أمامه (٢) أى يجلى فكرى أو ينعشه (٣) الجراب هو حقيبة من القماش كالج

سافرت فى بعض السنين من بلدتى هذه وهى مدينة "بغداد" وصحبنى غلام ومعه جراب[٣] لطيف ودخلنا مدينة، فبينما أنا أبيع وأشترى وإذا برجل "كردى" ظالم معتدى قد هجم علىَّ وأخذ منى الجراب وقال: هذا جرابى، وكل ما فيه متاعى[٤] فقلت: يا معشر المسلمين، خلصونى من يد أفجر الظالمين، فقال الناس جميعًا: إذهبا إلى القاضى واقبلا حكمه بالتراضى، فتوجهنا إلى القاضى وأنا بحكمه راضى، فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه، قال القاضى: فى أى شىء جئتما وما قضية خبركما ؟.. فقلت: نحن خصمان إليك تداعينا[٥] وبحكمك تراضينا، فقال: أيكما المدعى" أى صاحب



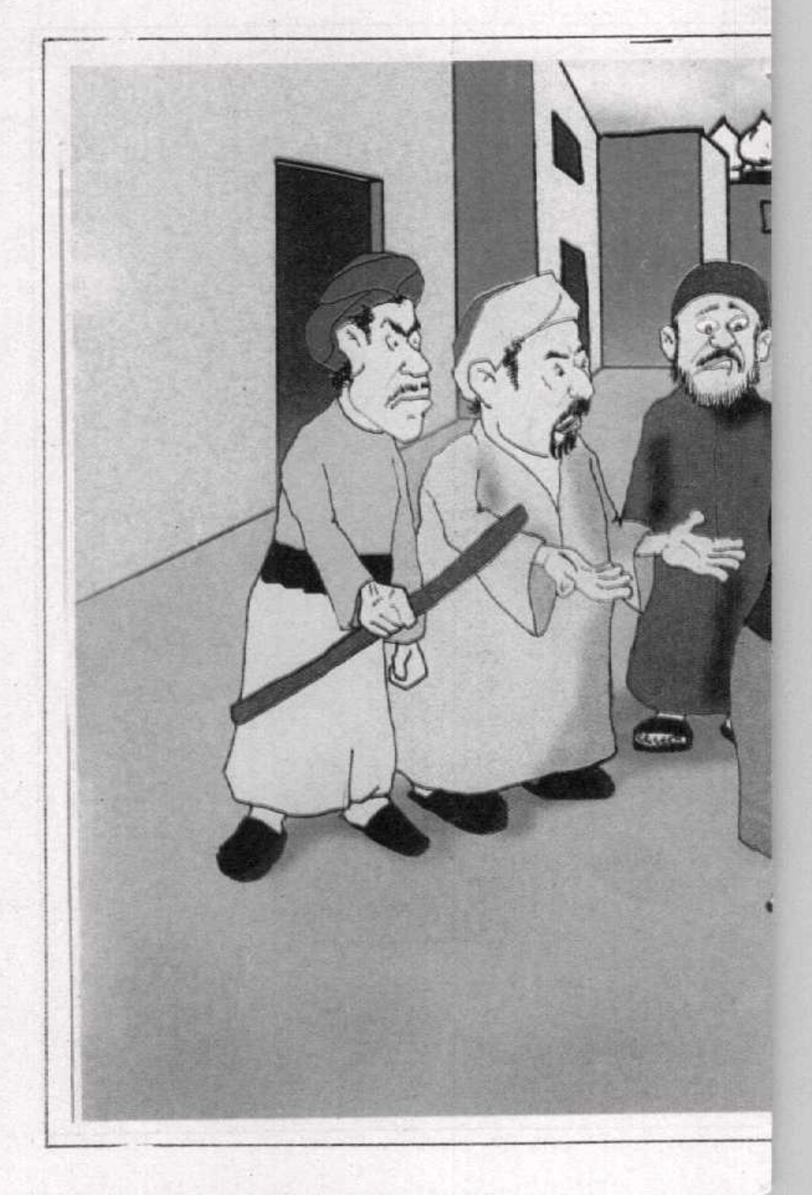
...وال ونحوه (٤) متاعى أى ملكى (٥) تداعينا أى حضرنا.

للمعاش وغزة وعسقلان من دمياط إلى أسوان وإيوان كسرى أنوشروان وملك سليمان ومن وادى النعمان إلى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند إلى بلاد السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضى غلائل وعراضى (١) وألف موس ماضى تحلق ذقن القاضى إن لم يخش عقابى ويحكم بأن الجراب جرابى، فلما سمع القاضى هذا الكلام تحير عقله من ذلك وقال: ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لأنه ما وصف الواصفين ولا سمع السامعون بأعجب مما وصفتما ولا تكلموا بمثل ما تكلمتما،

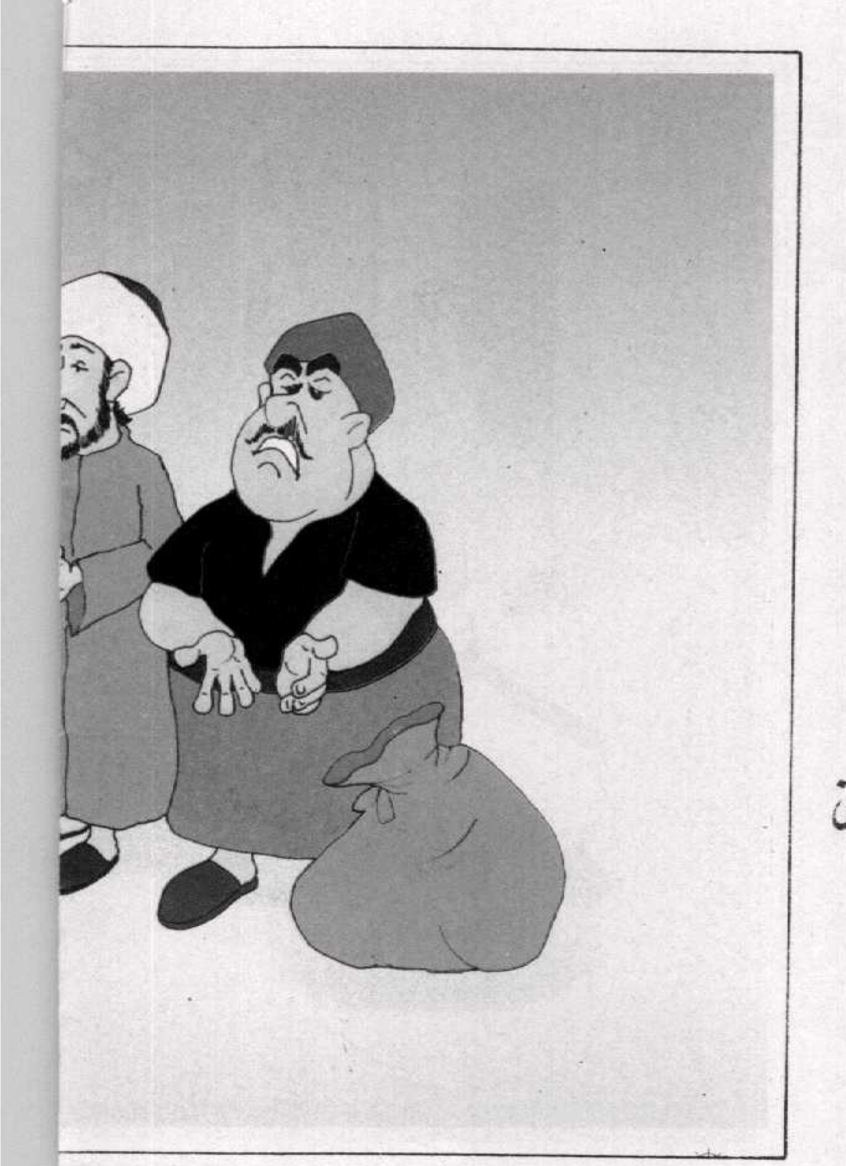
---

(١) نوع من القماش (٢) بلدة عربية مسماه بهذا الاسم . (٣) يوم العرض أى يوم القيامة

والله إن من الصين إلى شجرة أم غيلان[2] ومن بلاد فارس إلى أرض السودان ومن وادى النعمان إلى أرض خراسان لا يسع ماذكرتما ولا يصدق ما ادعيتما ، فهل هذا الجراب بحر بلا قرار أو يوم العرض[3] الذى يجمع الأبرار والفجار !! ثم إن القاضى أمر بفتح الجراب وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون وبخور من شعر قرد ونسناس ودهان للصلع أو القراع وزيت كحل يصيب بالعوار أو يجلب العمى للعين ثم رميت الجراب قدام الكردى ومضيت ، فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من "على العجمى" استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته ...



الشكوى أو المظلوم" فتقدم الكردى وقال: أَيَّدَ الله مولانا القاضى، إن هذا الجراب جرابى وكل ما فيه من متاعى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل،



فقال القاضى: ومتى ضاع منك؟

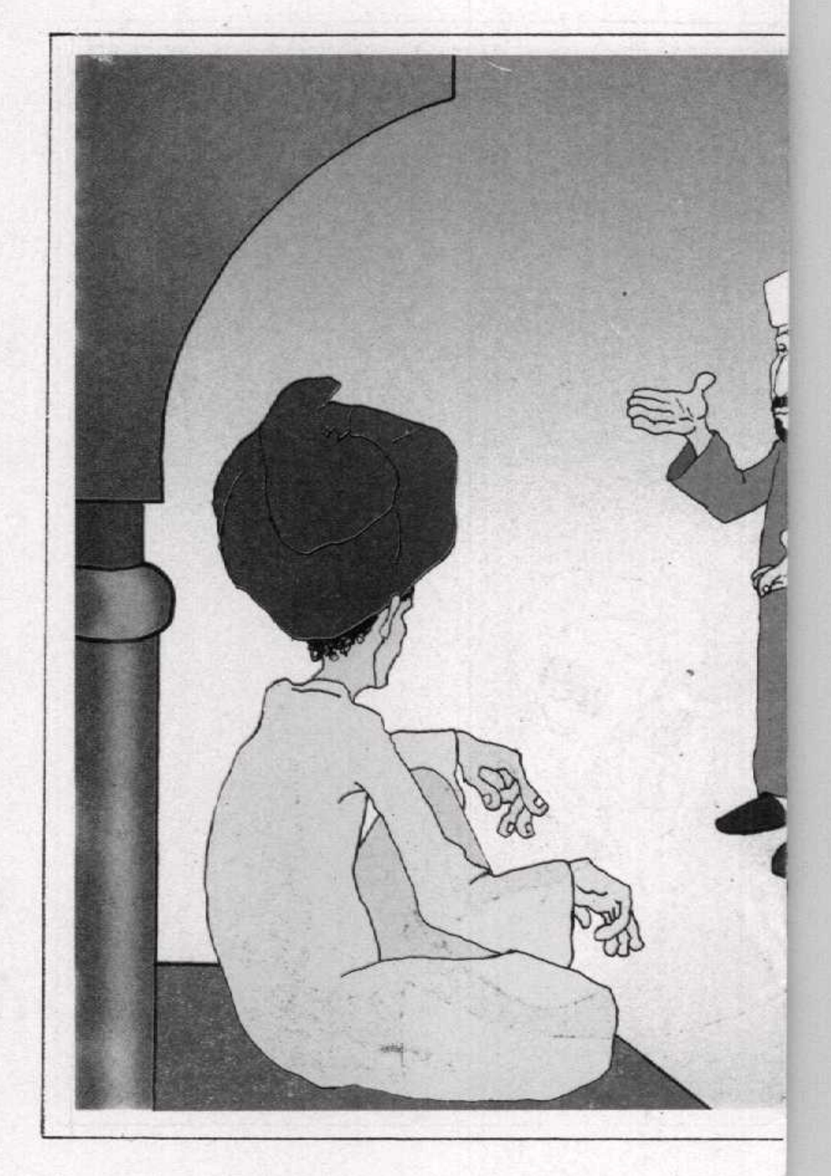
فقال الكردى: من أمس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم، فقال: إن كنت تعرفه فصف لى ما فيه!!

فقال الكردى: فى جرابى هذا أكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شُرَّابتين[1] وشمعدانين وهو مشتمل على بيتين ودورين ومعلقتين ومخدة وأبريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين[2] ومغرفة ومسلة[3] وقطة وكلبتين وجبة وفروتين وبقرة وعجلين وعنزة وشاتين[4] ونعجة وسخلين[5] وجملاً وناقتين وجاموسة

---

(1) شرابتين للخرج مفردها شرابة وهى حبل قصير من الصوف ينتهى بعقدة (2) بلاصين (3) إبرة كبيرة

وثورين ولبؤة وثعلبتين ومرتبة وسريرين وقصر وقاعتين ومطبخ ببابين وعندي جماعة من الأكراد يشهدون أن الجراب جرابي، فقال



القاضي: وما تقول أنت يا هذا؟ فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وقد أدهشني الكردي بكلامه، فقلت: أعز الله مولانا القاضي أنا ما في جرابي هذا إلا دويرة[6] خراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصِّبْيَان كُتَّابْ وشباب يلعبون الكعاب وخيام وأعمدة ومدينة البصرة وبغداد وقصر شَدَّاد بن عاد وكور وحداد وشبكة وصياد وعصا وأوتاد وبنات وأولاد وألف شاهد بلا ضمير يشهدون أن الجراب جرابي، فلما سمع الكردي هذا الكلام بكى وانتحب[7] وقال: يا مولانا القاضي

الجمل (٤) النعجة الصغيرة (٥) السخل أي الجدي الصغير (٦) مصغر دار (٧) علا صوته في البكاء وتهته فيه

أن جرابي هذا معروف وكل ما فيه موصوف، هذا جرابي وفيه حصون قلاع وكراكي "طيور كالبجع" وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع[1] وفي جرابي

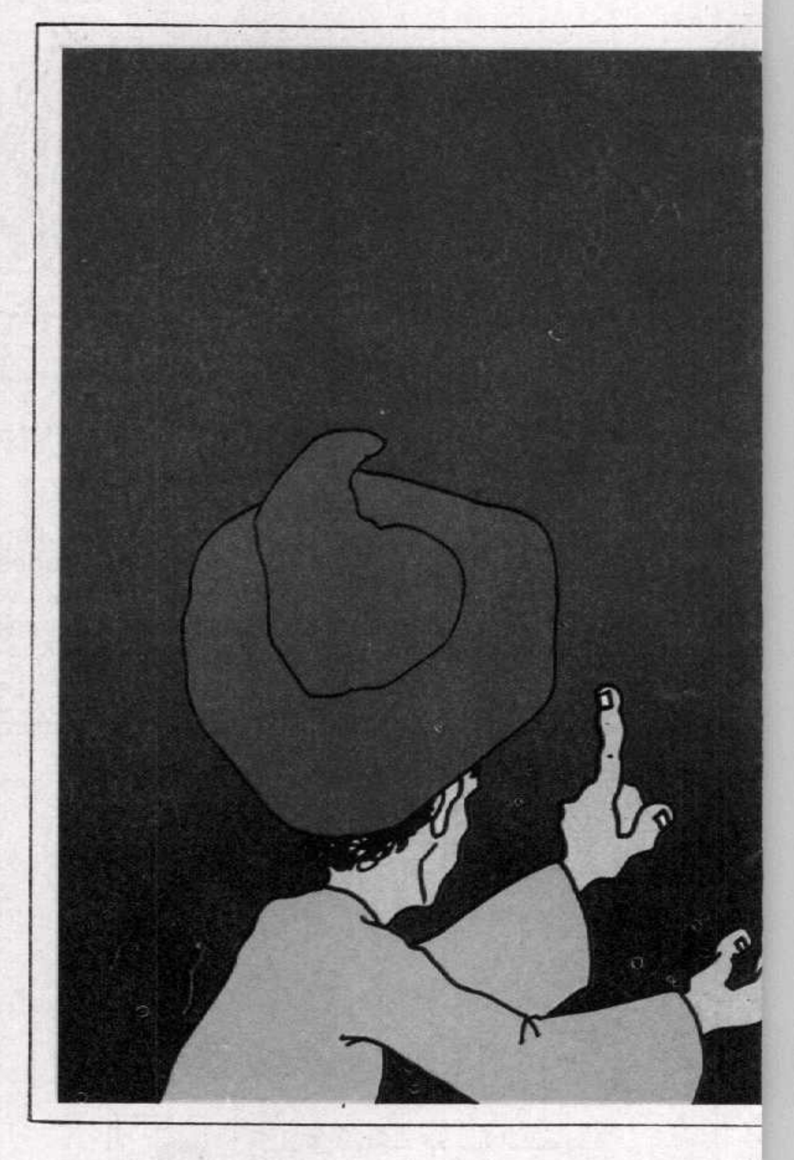


هذا حجرة ومهران "حصانان صغيران" وفحل[2] ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وأرنبين ومدينة وقريتين وأعمى وبصيرين وأعرج وكسيحين وقسيس وشماسين[3] وبطريق وراهبين وقاضي وشاهدين وهم يشهدون أن الجراب جرابي، فقال القاضي: بماذا ترد عليه، فامتلأت غيظاً يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت: أيد الله مولانا القاضي، أنا في جرابي هذا زرد[4] وصفائح وخزائن سلاح وألف كبش نطّاح وفيه للغنم مراح[5] وألف كلب نباح

---

(1) جمع رقعة وهي لوح الخشب مما تصف عليه قطع الشطرنج (2) عجل جاموس (3) الشمامسة تلاميذ القس في

وبساتين وكروم وأزهار وتين وتفاح وعفاريت وأشباح ودوارق
وأقداح وعرائس وأفراح وهرج وصياح وصحارٍ مترامية وصحاب



ملاح ومعهم فرسان سفر
ومحابس للعقاب وأعواد ونايات
وأعلام ورايات وصبيان وبنات
وعرائس جميلات وجوار مغنيات
وخمس حبشيات وثلاث هنديات
وعشرون روميات وخمسون
تركيات وسبعون عجميات
وثمانون كرديات والدجلة والفرات[6]
وشبكة وصياد وقدّاحة وزناد
وصيادون واصطبلات ومساجد
وحمامات وبناء ونجار وخشبة
ومسمار وعبد أسود بمزمار ومدن وأمصار[7] ومائة ألف دينار
والكوفة مع الأنبار[7] وعشرون صندوقا ملآنة بالقماش وخزائن مال

الكنانس (٤) آلة لقص رقائق الحديد (٥) متسع (٦) نهري العراق الشهيرين (٧) أمصار أي دول

وكلاء التوزيع



للدراسات الإنسانية

سوق الكتاب الجديد / أمام مستشفى الحسين الجامعى
رمز بريدى : ١١٥١١ ـ ص . ب : ٢٢٢٧ القاهرة
جمهورية مصر العربية

La Maison de Tarabichi
Pour Les Etudes Humaines
Marché du Nouveau Livrt
Devant Lhôpital Universitaire du Hussein
Signe Postali 11511 - S . B 2227
Le CAIRE - R . A . E



دار إحياء العلوم

٥١ ساحة القصر المالكى ـ الأحباس
الدار البيضاء ـ المغرب
ص. ب : ٤٠٢١ P.O.B:4021
فاكس : ٢٥٥٦٠١ Fax:255601



وكيلنا فى المملكة العربية السعودية
مكتبة العلم والمعرفة
AL ELM & AL MARIFA BOOK SH.P
جدة هاتف ٦٥٧٠٦٣٥